مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والسياسية

اسم المقال: الأزمات الدولية وأثرها في تحولات النظام الدولي (أزمة جائحة كورونا وآثارها على واقع ومستقبل النظام الدولي أنموذجاً)
اسم الكاتب: أ.م. د حيدر زاير عبوسي العامري
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/560
تاريخ الاسترداد: 2026/04/10 02:18 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والسياسية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

الأزمات الدولية وأثرها في تحولات النظام الدولي
(أزمة جائحة كورونا وآثارها على واقع ومستقبل النظام الدولي أنموذجاً)

أ.م. د حيدر زاير عبوسي العامري*

الملخص

لقد اهتم الدارسون في مجال علم السياسية كثيراً بالنظام الدولي منذ البدايات الأولى لتشكله ومراحله اللاحقة وماطرا عليه من تغيرات وتحولات وكانت الغاية من ذلك هو التوصل إلى قواعد ونظريات وقوانين عامة يمكن من خلالها فهم ذلك النظام وقد كانت هي السبب الرئيس في تلك التحولات وهذا ما بدا واضحاً أيضاً في بدايات تشكُّل النظام الدولي في التاريخ الحديث والمعاصر في اوروبا، فقد شهدت القارة الاوربية أزمات وحروب كثيرة، سواء ما بين الدول الاوربية وتوازنات القوى فيما بينها ثم توسعت فيما بعد تلك الازمات والحروب والصراعات خارج حدود القارة الأوربية الى مناطق أخرى من العالم، لم تكن جميع التحولات والتغيرات التي شهدها النظام الدولي هي سبب الحروب والصراعات والتي هي في الغالب بإرادة بشرية وإنما هناك أسباب أخرى خارج ارادة الدول الكبرى والعظمى تسببت في تحولات ذلك النظام وتغيير موازين القوى فيه، ومن بين اهم العوامل والاسباب الكوارث الطبيعية، واهمها الاوبئة والامراض الفتاكة التي تسببت بإبادات كبيرة للجنس البشري، وهناك أمثلة كثيرة في هذا الصدد، والتي كان آخرها ظهور فايروس كورونا في الصين في تشرين الثاني/ نوفمبر2019، ومن ثن انتشاره في معظم دول العالم ليشكل تهديداً

* العراق – جامعة الكوفه تدريسي في كلية العلوم السياسية
معاون العميد للشؤون العلمية والدراسات العليا في كلية العلوم السياسية– جامعة الكوفه.
التخصص العام :– علوم سياسية
التخصص الدقيق:– علاقات دولية
الاميل الرسمي/ haiderz.alamery@uokufa.edu .iq

حقيقياً للنظام الدولي، اذ على الرغم من تعرض المجتمعات الانسانية وعلى امتداد تاريخها الى أوبئة وأمراض عديدة، وصنفت بأنها أوبئة كونية أو عالمية (universal permadic)، الا أن تلك الاوبئة لم تشكل خطراً سياسياً واقتصادياً ومجتمعياً بالمستوى الذي نشهده اليوم ونتوقعه مستقبلا على النظام الدولي والمجتمع الانساني، كما يشكله وباء كورونا من تهديد على الصعد السياسية والاقتصادية والثقافية والامنية، وذلك لأسباب عديدة منها ما يتعلق بالسبب الرئيس لظهور الفايروس، وكذلك سبب انتشار ذلك الفايروس، وما شكله ويشكله من تهديدات للعالم، ومنها ما يتعلق بالدوافع والاسباب الحقيقة وراء انتشار ذلك الفايروس، وما شكله من تهديد للحياة الانسانية، بالرغم من التصريحات التي تعلنها بعض الدول بإمكانية التوصل الى لقاحات لذلك الوباء، والتي لا ترقى الى مستوى التعاون والتضامن الحقيقي والجاد ما بين الدول العظمى في مواجهة ذلك الوباء، وتحويله الى سلاح أو ورقة ضغط للاستهداف فيما بين تلك الدول، وكانه ينذر بحقبة جديدة وخطرة من الصراعات ما بين القوى العظمى لتغيير قواعد الهيمنة العالمية أو الابقاء على الهيمنة لمصلحة دولة على حساب دول أخرى طامحة في التغيير كروسيا الاتحادية والصين في مقابل الولايات المتحدة الامريكية، وتأثير كل ذلك على واقع ومستقبل النظام الدولي.

الكلمات المفتاحية: الازمات العالمية، الوباء، الفايروس التاجي 19 (كوفيد 19)، النظام العالمي الجديد، الصراع، مركزية الغرب، التباعد الاجتماعي

Impact of international crises on international systems Transformation: covid-19 pandemic and its impact on realities and future of international system

Dr. Haider Zayer Aboussi Al-Amiri

Abstract

The relations among countries are determined according to legal rules and international norms that gradually evolved with the development of that system, its origins and its long historical process until it crystallizes in its current form, and often they call on states to need to adhere to and respect those customs, rules and laws, especially the countries that want to preserve The stability of that system, but those laws and customs were not able to govern all units of the system and its behaviors, especially the revision units or units that are not satisfied with the status quo in the system and which seeks to change or amend it according to its interests, which always causes a state of instability, or shift it to another form, but that transformation is not easy, as it is not possible for any unit of the international system to be able to change, transform or destabilize it, unless there are favorable conditions that help to do so, and among those conditions are the major international crises that ravage the system and cause its transformation or Change it if you vote Prepare those crises and the failure of the major international powers in the system to solve or contain them.

key words: International crises, epidemic, corona virus diseases 2019, social desistance, conflict, centralization of the west, new international order.

المقدمة

إن من أهم مميزات النظام الدولي القائم، والذي يمتد الى أربعة قرون من الزمن – أي منذ بدايات القرن السابع عشر وحتى عصرنا الحالي– هي سمة التغيّر وعدم الثبات، ويعود ذلك الى اسباب عديدة منها، إن سمة التبدّل والتغيّر هي السمة الاساسية للمجتمع الانساني وعلى مر العصور، كما ان ذلك التغيّر والتبدّل مرهون بالظروف الذاتية والشروط الموضوعية التي تحكم ذلك النظام، والتي شكّلت صيرورته وأثرت وتؤثر في سيرورته التاريخية المتعاقبة، كما إن من بين تلك الشروط التي تتطلبها عملية التغيّر في النظام، هي رغبة الفاعلين الدوليين في ضرورة استمرارية الهيمنة، ان كانوا مهيمنين على ذلك النظام، أو السعي لغير المهيمنين في تغيير المواقع التراتبية عندما يكونون غير مقتنعين بمواقعهم في سلّم أو تراتبية النظام الدولي القائم، كما ان هناك تغيّرات قد تصيب النظام خارج ارادة او رغبة او توقعات الفاعليين الدوليين، سواء بخسارة الحرب التي كانوا يتوقعون الربح فيها كما حصل لفرنسا في حقبة الحروب النابليونية في بدايات القرن التاسع عشر، أو لألمانيا النازية واليابان في القرن العشرين، او بسبب الاستنزاف الطويل والبطيء وكما حصل في حقبة الحرب الباردة ولمدة أربعة عقود من الزمن في النصف الثاني من القرن العشرين، بين الاتحاد السوفيتي (السابق) والولايات المتحدة الامريكية، أو ما سُمي بالصراع ما بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي منذ عام 1949 وحتى عام 1991 عندما تفكك الاتحاد السوفيتي (السابق) الى جمهوريات متعددة في كانون الاول / ديسمبر من عام 1991 بعد ان كان يحاول استقطاب الكثير من دول العالم في تلك الحقبة، وأصبح غير قادر على الاستمرار كقوة عالمية عظمى، بسبب تحديات كبيرة واجهته كان في مقدمتها التحديات الاقتصادية، والتي أسفرت تلك الظروف الى تبدّل أو تحوّل النظام الدولي – بحس رأي الكثير من المتخصصين في مجال الدراسات السياسية الدولية– الى نظام دولي آخر مختلف، أُطلق عليه في حينها" النظام العالمي الجديد".

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث بانه يتناول أزمة عالمية كبرى ظهرت تأثيراتها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والصحية، وعلى نطاق عالمي واسع شمل معظم دول قارات العالم، وبالخصوص القوى الكبرى والعظمى كالصين والولايات المتحدة الامريكية ودول الاتحاد الاوربي وروسيا الاتحادية، فضلاً عن دول أخرى إقليمية كتركيا وايران وغيرها من دول العالم، وقد تسببت هذه الجائحة بتوترات وتداعيات خطيرة داخلياً، وكذلك كان لها تأثيرات وانعكاسات على نمط العلاقات بين تلك الدول.

إشكالية البحث:

تبرز اشكالية البحث من خلال سؤالين أو تساؤلين مهمين وهما:- التساؤل الأول عن المسبب الرئيس لهذا الفايروس، هل هو بسبب الطبيعة وما تتعرض له البيئة من تلوّث(أي إن الفايروس غير مُصنّع مختبرياً)، أم هو ناتج عن تصنيع مختبري مقصود وبإرادة (بشرية)، واذا كان كذلك فهل انتشاره مقصود، أم بسبب أخطاء مختبرية خارج السيطرة، والتساؤل الثاني وهو: هل سيترك هذا الوباء آثاراً كبيرة في طبيعة النظام الدولي، وهل سيتسبب في أحداث تحولات جوهرية في طبيعة ذلك النظام وهيكليته، أم سوف تتم مواجهة أو معالجة ما سببه ذلك الوباء من أزمات على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي في العالم من قبل نفس القوى الدولية المسيطرة او المهيمنة في النظام.

فرضية البحث:

ينطلق البحث من فرضية مفادها إن الفايرويس (كوفيد -19 corona virus diseases 2019) هو أولاً: فايروس مصنع مختبريا، وإنه ضمن برامج الاسلحة البايلوجية التي تسعى بعض القوى الدولية الى توظيفها في صراعاتها فيما بينها، وثانياً: إن ذلك الوباء سوف يترك آثاراً كبيرة على واقع النظام الدولي والقوى المهيمنة عليه، ولربما سيؤدي الى تحوّل في مركزية الغرب الذي يهيمن على ذلك النظام باتجاه شكل

آخر ليس للقوى الغربية فيه صفة القيادة أو الهيمنة عليه، كما كان سائدا في العقود الماضية ما قبل انتشار جائحة فايروس كورونا (covid-19).

يمكن دراسة تأثير الازمات الدولية في تحولات النظام الدولي، وما يشهده الان من مخاطر أزمة جائحة كورونا وآثارها على واقع ومستقبل النظام الدولي وذلك من خلال البحث المباحث التالية:

المبحث الاول: مفهوم الازمات الدولية وأنواعها.

المبحث الثاني: الازمات الدولية الكبرى وتأثيرها في النظام الدولي Intrnation (order) وتحولاته.

المبحث الثالث: أزمة جائحة كورونا وتأثيراتها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية على النظام الدولي.

كذلك سوف تتم الاشارة الى خاتمة وأهم الاستنتاجات التي يمكن التوصل اليها خلال البحث.

المبحث الأول: مفهوم الازمات الدولية وأنواعها:

تعد الازمات الدولية من بين أهم العوامل التي تؤثر على الاستقرار في النظام الدولي، وهي أيضاً من بين العوامل المتعددة التي تؤثر على واقع ومستقبل النظام الدولي وتحولاته، سواء في الماضي أم في الحاضر أم في المستقبل، وان كان التأثير الاكبر على النظام الدولي وتحولاته يكون دائما للحروب الشاملة التي تغيّر من موازين القوى الفاعلة أو المهيمنة في النظام، ولكن حتى تلك الحروب فإنها غالباً ما تبدأ بأزمات ثم تتطور فيما بعد عندما تتصاعد تلك الازمات لتؤثر في سيرورة النظام وتُحدِث تحولات في العلاقات القائمة بين وحداته، ولذلك سوف يتم تناول مصطلحين وهما:

الأولى: مفهوم الازمة (crisis) وأنواعها.

والثانية: أهم المصطلحات المرادفة لمفهوم الازمة، والعلاقة أو التأثير المتبادل ما بينهما.

أولاً: مفهوم الازمة (crisis) وأنواعها:

يتداخل مفهوم الازمة مع مصطلحات قريبة أو مترادفة معها، ولكنها قد تختلف عنها، كما أن الازمات تتنوع وتختلف باختلاف مواضيعها، والجهة التي تهتم بها وكذلك الزاوية التي يُنظر منها لتلك الازمة، ولذلك تتنوع وتختلف الازمات، مما نتج عن ذلك تعريفات متعددة للازمة، فالأزمة وكما يعرفها المتخصصون في مجال الدراسات الاستراتيجية بانها "المجال الزمني الذي تظهر فيه نزاعات ترتفع الى الحد الذي تهدد فيه بتغيير طبيعة العلاقات القائمة"

1 أو أنها "مجموعة احداث تكشف عن نفسها بسرعة مُحدِثة بذلك إخلالاً في توازن القوى القائمة في ظل النظام الدولي أو أيّاً من نُظمه الفرعية، بصورة اساسية وبدرجة تفوق الدرجات الاعتيادية مع زيادة احتمال تصعيد الموقف الى درجة العنف داخله" 2، وعّرفها اخرون ومنهم (كورال بيل) بأنها" وصول عناصر الصراع في علاقة ما الى المرحلة التي تهدد بحدوث تحول جذري في طبيعة العلاقة، مثل التحّول من السلم الى الحرب في العلاقات الطبيعية بين الدول.." 3، والازمة على أية حال هي حالة من التحول أو اللا استقرار الغير معهود أو الغير متوقّع لوضع معين، وحالة اللا استقرار أو التحوّل قد تعود الى الحالة السابقة وتنتهي الازمة، أو قد تتطور وتتسارع الى حالات اخرى أشد وأخطر، وتأخذ مصطلحاً أو مفهوماً آخر غير مفهوم الازمة.

أما ما يتعلق بموضوع الازمة وأنواعها، يمكن القول بأن الأزمة قد تكون محددة بموضوع معين، ولذلك يطلق عليها تسمية الازمة مع وصف لموضوعها، فاذا كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو صحية، أو غير ذلك فتوصف الازمة بانها أزمة سياسية، أو أزمة صحية، أو أزمة اقتصادية وهكذا، كذلك يمكن وصف الازمة لا بحسب طبيعة موضوعها فقط، وإنما بحسب سعتها وانتشارها الجغرافي، فنقول مثلاً أزمة محلية، وازمة وطنية، وأزمة اقليمية، وأزمة دولية وهذه الاخيرة تعد الأوسع والأكبر، ولذلك يطلق عليها بالأزمة الدولية أو العالمية (Intrnational crisis) وهي من أهم وأخطر الازمات

وذلك لسعة تأثيرها في الحياة الانسانية والمجتمع الدولي، ولذلك تعرف الازمات الدولية بأنها" حدوث خلل جسيم في العلاقات الطبيعية بين الدول ذات السيادة بسبب عجزها عن حل نزاع قائم بينها"، وقد تصنف الازمات بحسب شدّتها الى أزمات شديدة حادة، وأزمات أقل شدة ، كما يمكن تصنيفها بحسب أهميتها الى أزمات مهمة جداً وأزمات أقل أهمية، إذ ليس كل الازمات تكون على مستوى واحد من الاهمية، وأهم الازمات هي تلك التي تشكل تهديداً مباشراً على حياة المجتمعات، وكذلك التي تهدد الامن القومي للدول.

ثانياً: أهم المصطلحات المرادفة لمفهوم الازمة:

هناك مصطلحات عديدة مرادفة أو مشابهة لمصطلح الأزمة، ومن أهمها المعضلة والكارثة والنزاع والحادثة وغيرها، ولكن هنالك مصطلحان أكثر أهمية يتعلقان بموضوع البحث، وهما يتداخلان كثيراً مع مصطلح الازمة وهما مصطلح الصراع (conflict)، ومصطلح الحرب(war)، ويمكن توضيح نقاط التشابه والاختلاف بينهما وبين مصطلح الأزمة وكما يأتي:

1- الأزمة والصراع (crisis and conflict):

يقترب مفهوم الصراع من مفهوم الازمة كثيراً، ولكن لا يعني ذلك إن المصطلحين متطابقان، بل هناك نقاط اختلاف متعددة، ولذلك يجب التمييز بينهما، والصراع قد تسببه أزمة لا يتوصل أطرافها الى الحلول سريعاً، ولاسيما اذا كان يعبرّ عن تصادم ارادات و قوى معينة تسعى كل منهما الى تحطيم بعضها البعض كلياً أو جزئياً والانتهاء بالسيطرة والتحكم في إرادة الخصم، ويتركز مفهوم الصراع في العلاقات الاجتماعية بين الافراد، وقد ينشأ نتيجة وجود تعارض في الاهداف أو المصالح أو التصرفات بين الافراد والقيادات داخل التنظيمات السياسية والاجتماعية المختلفة، ويمّيز بعض المتخصصين في الدراسات السياسية بين المصطلحين – الازمة والصراع – بالإشارة الى عامل الزمن، حيث الصراع يستمر لوقت طويل، في حين يكون وقت الازمة وتصاعدها سريعاً ومحدداً وقصيراً في الغالب، كذلك قد يكون موضوع الصراع يحدده ويختاره أحد أطراف الصراع

أو جميعهم، في حين قد يكون موضوع الازمة مفاجئاً، أو خارج رغبة أو إرادة أو توقّع أطراف الأزمة.

أما نقاط التلاقي أو التشابه ما بين الأزمة والصراع فان مفهوم الصراع يقترب أو يتداخل كثيراً مع مفهوم الأزمة في جانب آخر، فالصراع هو: عدم توافق بين اطراف الصراع وخصوصاً عدم التوافق في الأهداف والمصالح وذلك يعني: إن الصراع يتضمن: التهديد للأهداف، والذي يعد من بين الجوانب الرئيسة الثلاثة للازمة: (ضيق الوقت، المفاجئة، التهديد) ومن ذلك يتضح لنا إن هناك تقارب بين مفهومي: الازمة والصراع، غير أن الصراع قد يكون مفهوم الابعاد والاتجاهات وأطرافه وأهدافه معروفة أيضاً، في حين تكون مثل تلك المعلومات شبه مجهولة أو على الاقل غير محددة وواضحة بالنسبة لأطراف الازمة، وبالخصوص اذا كانت الازمة في بداية تصاعدها، كما أن علاقات الصراع تظهر وتتسم بالاستمرارية لمدة طويلة، وهو أمر يختلف عن الازمة التي قد تنتهي بعد تقارب الاطراف وتفاهمها، اذ ان سمة الحسم سمة ضرورية ملازمة للازمات، وعلى ذلك الاساس يمكن القول: إن الازمة قد تمثل مستوى معين أو مرحلة محددة من مراحل الصراع في اي مظهر من مظاهره، ويبقى الفارق الرئيس والمهم بين الازمة وبين الصراع هو عامل الزمن، ولذلك من غير الصحيح وصف ما يجري بين الفلسطينيين والاسرائيليين في الاراضي المحتلة بالأزمة الفلسطينية –الاسرائيلية، فهو تعبير غير دقيق وغير صحيح، ولكن نقول الصراع الفلسطيني –الاسرائيلي، او الصراع العربي – الاسرائيلي، ومن هنا يمكن القول بان مفهوم الصراع يتضمن الخلافات الكبرى على مستوى الايديولوجيا أو العقيدة، وهذا ما طرحه (صموئيل هنتنغتون) في كتابه صراع الحضارات – clash of civilizations)[4]، وهو وصف صحيح بحسب موضوعه، فلا يمكن القول أزمة الحضارات لأنها سوف تكون عبارة غير دقيقة.

2- الازمة والحرب (crisis and war):

وهي كذلك من بين أهم المصطلحات التي تتداخل مع مصطلح الازمة، فهناك تشابه كبير ما بين مفهوم الحرب وبين الازمات، ولكن هناك ايضا نقاط اختلاف بينهما، أما التشابه بينهما، فان كلاهما ما يشغل صنّاع القرار الى التفكير الجدّي بالحل، لما تسببه كلٌ منهما بمشكلات ومخاطر للدولة، ولكن الفارق بينهما ان الازمة لا يُستخدم فيها السلاح كوسيلة للحل، بعكس الحرب التي يعبر عنها الكاتب (كلاوز) بأنها وسيلة للتعبير عن السياسة ولكن بأدوات أخرى 5، والحرب غالباً ما تقع كنتيجة للفشل في احتواء الازمات وعدم الاسراع بحلّها، وقد ترافق الازمات الحرب أو تقع بعد نهايتها وتكون من مخلفاتها، وغالباً ما تتسبب الحروب بأزمات، كما ان الازمات التي يصعب حلها، أو يفشل الاطراف في تطويقها وتهدئتها قد تؤدي إلى التسبب بالحروب، والملاحظ أن معظم الحروب التي اندلعت كانت بسبب أزمات لم تستطِع الاطراف المعنية حلّها، ولذلك تبرز أهمية دراسة الازمات كونها تجنّب الدول والشعوب الكثير من الكوارث والدمار والويلات، والانموذج الامثل لحل الازمة هو أزمة الصواريخ في كوبا بين الاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة الامريكية، والتي كادت ان تؤدي الى حرب نووية كارثية، لولا تدارك الاطراف المعنية لتلك الازمة، كما أن الانموذج الاخر للفشل في ادارة الازمات ما حدث بين العراق والكويت نهاية عام 1989 حيث أزمة نزول اسعار النفط والديون لمجلس التعاون الخليجي على العراق بسبب الحرب على ايران، مما تسببت بحرب كارثية على العراق والمنطقة عام 1991 وهي حرب الخليج الثانية [6]، ولذلك عندما نتناول دراسة الازمات، يتوجب علينا الاحاطة بمفهوم الازمة وأنواعها، وكذلك تمييزها عن المصطلحات الرديفة لها، ليتسنى لنا معرفة مدى تأثير الازمات في النظام الدولي، ومنها أزمة جائحة كورونا (covid-19).

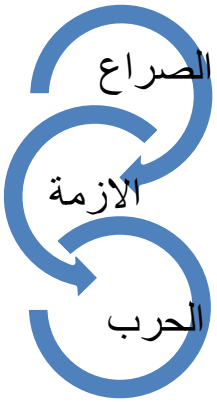

الشكل يوضح التداخل مابين المفاهيم الثلاث

المبحث الثاني: الازمات الدولية الكبرى وتأثيرها في النظام الدولي (Intrnation order) وتحولاته:

على الرغم من تأكيد الكثير من المتخصصين في الدراسات السياسية على ان الحروب والصراعات هي السبب الرئيس في تحولات النظام الدولي وتغيّراته، ولاسيما في التاريخ الحديث والمعاصر، ومع صحة ودقة تلك الآراء، الّا انه لابد من الاشارة الى ان معظم تلك الصراعات وتلك الحروب قد بدأت بأزمات، ثم تصاعدت تلك الازمات حينما عجزت الاطراف المعنية عن احتوائها، أو حلّها، أو حينما كانت هناك حسابات غير دقيقة من بعض الاطراف للإفادة من تلك الازمات وتوظيفها لتحقيق مصالحها، ويمكن توضيح ذلك وكما يأتي:

أولاً: الازمات الدولية والتطورات والتحولات في النظام الدولي:

كانت بدايات تشكّل النظام الدولي في التاريخ الحديث قد حصلت بعد أزمات وحروب شهدتها القارة الاوربية، والتي بلورت في بادئ الامر نظاماً أوربياً، توسع فيما بعد ليتحول الى نظاماً دولياً امتد خارج حدود القارة الاوربية الى مناطق أخرى من العالم، ليتشكّل

معنى النظام الدولي المعاصر[7]، ويعرّف النظام اصطلاحاً بصورة عامة بانه "عبارة عن كيان عام تتداخل عناصره ومكوناته على نحو يجعله يتفاعل ويتبلور في النهاية على صور أخرى"، اما النظام الدولي هو "عبارة عن وحدات سياسية تتفاعل فيما بينها وقد تكون تلك الوحدات دول أو منظمات أو جماعات أو حركات تتفاعل فيما بينها"، كما ان هناك مصطلحات قريبة مرادفة لمصطلح النظام (order) مثل النسق (system) وهو يعني ترتيب الأشياء على طريقة واحدة، ولكنما يؤكده بعض المتخصصين على ان التعبير الادق للنظام الدولي هو النسق بمعنى (order)، وليس بمعنى (system).

لقد طرأت تحولات عديدة على ذلك النظام وتسميته فيما بعد، ومن أهمها مصطلح النظام الدولي الجديد أو النظام العالمي الجديد، والذي شاع بعد عام1991 عند تفكك الاتحاد السوفيتي السابق وانتهاء ما سُميت ب (حقبة الحرب الباردة COLD WAR)[8] بين القوتين العظميين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية، وانهيار نظام القطبية الثنائية [9]، ولم تكن تلك التحولات قد حدثت في ظل ظروف مستقرة طبيعية، أو نتيجة تطورات ايجابية في ذلك النظام، وإنما بسبب أزمات متصاعدة، بعضها قاد الى حروب كونية شاملة، كما حدث في الحربين العالميتين الاولى (1914–1918) والثانية (1939– 1945)[10].

أما ما يتعلق بموضوع العلاقة بين الازمة وبين النظام الدولي وتحولاته، يمكن القول بانه ليس كل الازمات لها تأثيراً في النظام الدولي وتحولاته، وانما بحسب نوع الازمة من حيث سعتها وتأثيرها الجغرافي (العالمي)، وكذلك شدّة الازمة، وأهميتها بالنسبة للأمن القومي للقوى الكبرى، ومدى تهديدها لحياة المجتمعات، ومن هنا أُطلق على الازمات المهمة والمؤثرة من حيث السعة الجغرافية والشدة والاهمية بالأزمات الدولية أو الازمات العالمية (Intrnational crises)، إذ كانت لتلك الازمات الدولية تأثيراً كبيراً في تحولات ذلك النظام – والتي سبقت التصعيد نحو الحرب– سواء الازمات السياسية أم الاقتصادية أم الايديولوجية وحتى الدينية، وكما حدث في الحقبة التي سبقت الحرب العالمية الثانية

وأزمة الكساد الاقتصادي عام 1932، أو الصراع الايديولوجي بين القطبين الذي تسبب بأزمة اقتصادية عانى منهى الاتحاد السوفيتي (السابق)، والتي ادّت الى تفككه وانهياره في نهاية عقد الثمانينيات من القرن العشرين[11]، مما تسبب بتحوّل في بنية النظام الدولي، أو كما حدث في الهجمات الارهابية التي تعرّضت لها الولايات المتحدة الامريكية في 11سبتمبر / ايلول 2001، والذي أوعزت أسبابه الولايات المتحدة الامريكية الى العامل الحضاري– الديني [12]، بينما أشار آخرون إلى أن تلك الهجمات كانت اسبابها أزمات تسببت بها الولايات المتحدة وحلفائها الاقليميين والدوليين في العالم، دون أن تلتفت الى حلها أو الاهتمام بها، ولاسيما في منطقة الشرق الاوسط.

يمكن الاشارة الى عوامل ثلاثة مهمة تتميز بها الازمة وهي العامل الزمني (time of cricis) لبداية تصاعد الازمة ومن ثم نهايتها ووصولها الى الحل بعد ان تصل الى الذروة (peak) في التصعيد والشدّة، والعامل الجغرافي أو المكاني لسعة انتشار الازمة سواء كان عالمياً أو اقليمياً أو محلياً أو مناطقياً، وكذلك شدة الازمة وتأثيرها (influence or tention of criscis)، وهذه العوامل الثلاث كلما زادت كلما زادت مخاطر الازمة على النظام الدولي (وكما موضح في المخطط ادناه)[13]:

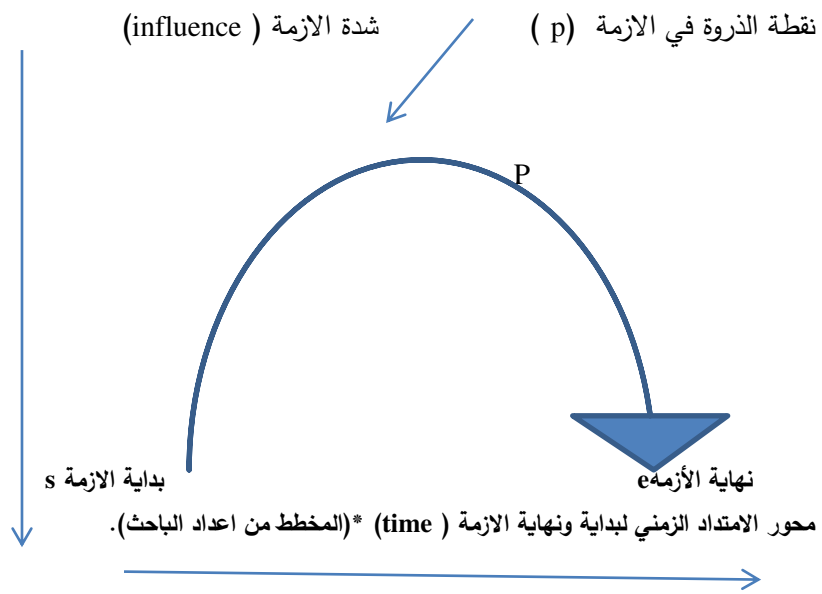

*(المخطط من اعداد الباحث).

ثانياً: واقع النظام العالمي ما قبل انتشار أزمة جائحة كورونا (covid- 19):

لقد قام النظام الدولي المعاصر على أسس ومرتكزات مهمة، ابتداء من بدايات عصر النهضة الاوربية وحتى الوقت الحالي، وقد عززت تلك الاسس والمرتكزات محورية الغرب وحضارته في هذا النظام وقيادته للعالم، وتعمقت تلك المحورية أخيراً بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ومن ثم انهيار المعسكر الاشتراكي والاعلان عن نظام عالمي جديد من قبل الرئيس الامريكي الأسبق جورج بوش الاب عام 1991 [14]، ذلك النظام الذي تقوده الولايات المتحدة الامريكية، وحلفائها الاقل قوة منها والتابعين لها، ومن بينهم الاتحاد الاوربي والدول الداخلة أو التابعة لحلف شمال الاطلسي الناتو (NATO)، ولذلك جاءت مقولة نهاية التاريخ للكاتب الامريكي الجنسية – الياباني الاصل – فرانسيس فوكوياما لتعزيز تلك المركزية، بالرغم من عدم تحققها بالكامل، وتعليل ذلك فيما بعد بممانعة الحضارات الاخرى لمشروع العولمة الامريكية وهيمنتها، وهذا ما أشار إليه في حينها

الكاتب الامريكي صموئيل هنتنغتون في نظريته صراع او صِدام الحضارات (clash of civilization).

لقد تعرض النظام الدولي لازمات عديدة، وكانت الولايات المتحد ة الامريكية هي القائدة والرائدة في مواجهة تلك الازمات، ومن أهمها حرب الخليج الثانية في يناير/ كانون الثاني عام 1991 لردع العراق بعد تجاوزه على اسس تلك المنظومة الدولية واحتلاله للكويت في اغسطس/ اب 1990، وعدم امتثاله لقواعد القانون الدولي والاعراف الدولية، والتحذيرات الامريكية القاضية بالانسحاب، وكذلك الحرب في يوغسلافيا والصومال وبنما وغيرها من دول العالم، وكل تلك الازمات عززت من مكانة النظام الدولي ومركزيته وقيادته، وحتى ما تعرضّت له الولايات المتحدة من هجمات ارهابية في 11أيلول / سبتمبر 2001، فقد جعلت تلك الهجمات معظم دول العالم خاضعة ومنقادة للارادة الامريكية في حربها على الارهاب[15]، وان كانت لمدة محددة.

لقد شعرت الولايات المتحدة الامريكية – كونها الدولة القائدة للنظام الدولي – بمخاوف تراجع مكانتها الدولية، بعد الصعود السريع للصين في المجال الاقتصادي، والى حد ما روسيا الاتحادية التي تحاول استعادة مكانتها الدولية في ظل حقبة الرئيس فلاديمير بوتين، ولاسيما بعد حرب جورجيا عام 2008، ومن ثم حرب القرم واقتطاعها من اوكرانيا، وضمّها إلى الأراضي الروسية عام 2014، ولكن كل تلك الازمات والتهديدات، لم تشكل تهديداً حقيقياً لمكانة الغرب ومركزيته في النظام الدولي، اذ حاولت كل من الصين وكذلك روسيا الاتحادية عدم اثارة أو استفزاز الولايات المتحدة الامريكية، والدعوة دائما الى التعاون والشراكة بدلاً من الصراع والتصعيد الذي تبنّته بعض التيارات والمراكز البحثية المتطرفة والمؤثرة في صناعة القرار داخل الولايات المتحدة الامريكية.

كان لتلك التهديدات والضغوطات الامريكية المتكررة ضد القوى الدولية الصاعدة، ولاسيما الصين وروسيا الاتحادية تأثيراً كبيراً على تفكير بعض الباحثين في تفسير أسباب انتشار فايروس كورونا وما تعرّضت له الصين وانها كانت مستهدفة وراء ظهوره

على اراضيها في مقاطعة ووهان، وهو نفس السبب الذي دفع بعض المسؤولين في روسيا الاتحادية الى وصف ما تعرّضت له الصين بانه بمثابة (القنبلة العنصرية)[16] الموجّهة الى شعب يحمل جينات وراثية معينة لغرض استهدافه، وهو ايضا الذي دفع ايران الى الحذر وعدم السماح لبعثة وكالة الصحة العالمية بالدخول الى ايران وتزويدها بأية معلومات عن المرضى الايرانيين المصابين بالفايروس، خوفاً من استخدام تلك المعلومات لأغراض سياسية من خلال معرفة الجينات الوراثية ومدى استجابتها للفايروس، وهو ما حذّر منه مرشد الثورة الايرانية السيد على الخامنئي، بعد ان وجّه الجيش والحرس الثوري الايراني – بعدّه القائد العام للقوات المسلّحة وفقا للدستور الايراني – بضرورة القيام بما يلزم، وابلغهم بان ايران قد تعرّضت لضربة بايلوجية، دون ان يحدد الجهة التي قامت بذلك بصراحة ووضوح، وان كانت المؤشرات والاتهامات تتوجه الى الولايات المتحدة الامريكية، كما إن وزير الدفاع الروسي قد اكد تعرّض روسيا لمثل هكذا هجمات لمرات متكررة، وهذا ما يزيد من المخاطر الحالية والمستقبلية التي قد يتسبب بها انتشار هذا الوباء على واقع ومستقبل النظام الدولي.

المبحث الثالث: أزمة جائحة كورونا وتأثيراتها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية على النظام الدولي:

لقد شكلّت الازمة الاخيرة التي تسببت بها جائحة كورونا تهديداً حقيقياً للنظام الدولي، وتراتبيته وهيكليته، وذلك للإثار الكبيرة في المجالات الاقتصادية والسياسية والصحية والاجتماعية وكذلك الايديولوجية التي خلّفها ويخلّفها ذلك الوباء، وكان من أهمّها هو ما تعرضت له ايطاليا من صدمة سياسية وانسانية كبيرة كأول دولة أوربية قوية ومؤثرة من دول الاتحاد الاوربي ينتشر اليها الوباء في أوربا، إذ وقفت الدول الاوربية عاجزة عن تقديم المساعدة لها في مواجهة الجائحة التي تعرّضت لها كونها الدولة الاوربية الاولى التي تواجه انتشار خطير وواسع لجائحة فايروس كورونا بعد الصين وايران، مع ارتفاع عدد المصابين والضحايا وما رافقها من أزمة نفسية واجتماعية لدى

الشعب الايطالي، وكان من أهم ما رافق تلك الازمة هو سرعة الدعم الذي قدّمته كل من روسيا والصين لايطاليا، والذي دفع عدد من المواطنين الى حرق علم الاتحاد الاوربي [17]، ورفع العلم الروسي والصيني بدلاً عنه، كتعبير عن مشاعر الاستياء والغضب الشعبي والرسمي من موقف دول الاتحاد الاوربي، وكذلك ما قام به رئيس صربي (الكسندر فوتشيتش) من رفع علم الصين وتقبيله وتصريحه في مؤتمر صحفي" بان الصين هي الدولة الوحيدة التي يمكنها مساعدتنا في هذا الوقت العصيب، وقال بان التضامن الاوربي هو غير موجود وهو قصة خيالية على ورق– على حد تعبيره –"، وقد استنجد بالرئيس الصيني وشكره وذلك لما قدمته بلاده من دعم في مواجهة الوباء، والذي تسبب بأضرار كبيرة وتهديدات بالغة لدول الاتحاد الاوربي كايطاليا وفرنسا وبلجيكا وبريطانيا والمانيا، ثم تلتها الاثار الكبيرة على الولايات المتحدة الامريكية أخيراً بعد انتشار الفايروس في مدينة نيويورك، وانهيار القطاع الصحي في الولايات المتحدة الامريكية [18]، وما رافقها من تصريحات لإصابة مسؤولين كبار في تلك الدول مثل رئيس وزراء بريطانيا جونسون[19]، وبعض مستشاري البيت الابيض، فضلاً عن شخصيات سياسية أخرى، مما تسبب بعدم الثقة لدى تلك المجتمعات، التي لم يستطِع رؤسائها تامين الحماية لأنفسهم أمام خطر الفايروس، فكيف يستطيعون توفير الحماية الصحية لعامة المواطنين، وكان أكثر ما تقدمه تلك الحكومات هو التأكيد على الحجر الصحي لمنع تفشّي الوباء، وهو إجراء من الممكن أن تقوم به اية حكومة، فضلاً عن الافراد، وقد ترافق مع ذلك ندرة المستلزمات الصحية في المستشفيات لتلك الدول حتى على مستوى الكمامات، وغيرها، مما تسبب أيضاً بصدمة نفسية حتى للكادر الصحي في تلك الدول، وهو ما ظهر على وسائل الاعلام.

من المفارقات المهمة التي يمكن أن تؤشر فيما يشهده العالم اليوم، وفي ظل استمرار أزمة جائحة كورونا، وانتشار الوباء العالمي لهذا الفايروس التاجي والمسمى (covid -19)، أو فايروس كورونا، إنه بالرغم من تعرض المجتمعات الانسانية الى أوبئة

وأمراض عديدة، وصنّفت بانها أوبئة كونية أو عالمية (universal permadic)، الا ان تلك الاوبئة لم تشكل خطراً سياسياً واقتصادياً ومجتمعياً على النظام الدولي، والمجتمع الانساني، كما يشكله وباء كورونا من تهديد الآن وعلى الصُعد السياسية والاقتصادية والثقافية والامنية، مهدداً النظام الدولي بالكامل، وذلك لأسباب عديدة منها ما يتعلق بالسبب الرئيس لظهور الفايروس، وكذلك سبب انتشاره السريع، وما شكّله ويشكّله من تهديدات للعالم، وهو ما سوف يتم بيانه.

لم يكن ظهور هذا الفايروس طائراً في التاريخ الانساني، بل تعرضت الحياة الانسانية لأوبئة وأمراض رُبّما كان بعضها أشدّ فتكاً من هذا الفايروس، ويمكن الاشارة – بصورة سريعة –الى أهم وأخطر تلك الاوبئة[20]، والتي تركت آثارا كبيرة في التاريخ الانساني، وكذلك على واقع القوى الكبرى القائمة [21]، وليس الهدف من البحث هو معرفة الجوانب الصحية والبحث في مجال التخصصات الطبية في الفايروسات، أو متابعة التطورات التاريخية للأوبئة وحسب، وإنما الهدف الأساسي هو دراسة تأثير تلك الاوبئة على واقع المجتمع الدولي، والانعكاسات السياسية التي قد يتسبب بها مثل هكذا وباء عالمي على الاستقرار في النظام الدولي، فعلى الرغم من أن تاريخ الانسانية حافل بالكوارث الطبيعية وغير الطبيعية كالأمراض والحروب وغيرها، لا ان ما يشهده واقع النظام الدولي اليوم من ترابط في مجال الاتصالات والمواصلات والاعلام الرقمي والتجارة والاعتماد المتبادل القائم على العولمة بكل ابعادها الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الامنية، جعل من ذلك الوباء يشكل تهديداً أكبر من أي وقت مضى، وهو ما توضّح في ظل الاحداث المتسارعة التي تركتها الجائحة وعلى جميع المستويات، ويمكن دراسة تلك التهديدات من خلال طرح النقاط التالية:

أولاً: الأبعاد السياسية لانتشار الفايروس:

يتسائل البعض سؤالاً محورياً مهما، وهو هل الجائحة (فايروس كورونا covid -19)، هو وباء نتيجة عمل الطبيعة وما يصيبها من تلوثات بيئية كما يحدث من زلازل وأعاصير وغير ذلك، ام هو فايروس مُصنّع مختبريا، وبإرادة بشرية، كما يتضمن السؤال أيضاً هل ان نشره عملية مقصودة، أم غير مقصودة وإنما خرج عن السيطرة بسبب طبيعة الفايروس الذاتية على الانتشار؟ والتساؤل الاخير المهم هل ان الدول التي تعرّضت لذلك الهجوم البايلوجي الاول – وهي الصين وايران – قد قامت بامتصاص واستيعاب ذلك الهجوم ، ومن ثم الرد بالمثل مما تسبب بانتشار سريع للوباء في العالم، أم إن الانتشار كان بسبب الترابط العالمي ووسائل الاتصالات والمواصلات هي السبب في ذلك؟

إن التوصّل للإجابة الصحيحة والدقيقة على هذا السؤال هي التي تساعد في حل اشكالية البحث، واثبات أو عدم اثبات فرضية تأثير تلك الازمة في النظام الدولي، إذ ان القول بان الفايروس هو طبيعي ولم يكن مصنّع مختبرياً سوف يدفع جميع الدول الى ضرورة تبني مبدأ التعاون لمواجهة هذا الخطر المشترك الذي يهدد الجميع ولا يستثني احدا، ويمكن تبني المبدأ القائل بان الجميع في مواجهة الطبيعة وكوارثها، ومن ضمنها هذا الوباء القاتل، وبالتالي لابد من التعاون لمواجهة الوباء.

يُشير بعض المتخصصين الى ان جميع الدلائل والمؤشرات تُضعف من هذه الفرضية الى الحد الذي تفنّدها، وهذا ما أكدته المعلومات الاستخبارية لبعض الدول، فقد حذّرت روسيا قبل انتشار الوباء ومنذ عام 2017، بان معلوماتها الاستخبارية تشير الى وجود مختبرات لتصنيع الاسلحة البايلوجية على حدودها مع جورجيا، حيث صرّح قائد قوات الحماية من الاشعاعات والاسلحة الكيميائية والبيولوجية في الجيش الروسي (ايجور كيريلوف) عام 2015بان هناك مختبرات في جورجيا في مركز ابحاث (لوجار) التابع للجيش الامريكي لتصنيع الاسلحة البايلوجية [22]، كما نشر موقع (نيو استيرن

اوتلوك) شهادة للصحفي الامريكي (جيفري سيلفرمان) المقيم في جورجيا، وذلك بتصريحات له حول مختبر(لوجار) السري في جورجيا، وان هذه المختبرات تابعة للولايات المتحدة الامريكية، وانها تحيطها بحماية وسرّية كاملة، وان سكان المنطقة التي فيها المختبرات قد لاحظوا ظهور بعض الاعراض الصحية الخطرة عليهم، كما أشارت تقارير أخرى الى وجود مراكز ابحاث بايولوجية سرية مشابهة في كازاخستان في مختبر (ستينوفورسك)[23] منذ تسعينيات القرن العشرين تابعة للجيش الامريكي، كذلك ما تم تاكيده في مجلة (ذا نايشونال انترست) بان روسيا رجّحت بان فايروس كورونا هو سلاح بايلوجي امريكي، وقد نشر موقع (Zvezda) الذي تموله وزارة الدفاع الروسية بان فايروس كورونا هو حرب بايلوجية تخوضها امريكا ضد روسيا والصين [24]، وهو ما أكده زعيم الحزب الليبرالي الديمقراطي الروسي (فلاديمير جيرينفوكي) بان البنتاغون (وزارة الدفاع الامريكية) هي من يقف وراء انتشار الوباء في العالم[25] .

لقد كان الاتهام – في بادء الامر عند انتشار الوباء في الصين– من قبل الصين للولايات المتحدة الامريكية بانها وراء نشر الفايروس في الصين وذلك عن طريق الجنود الامريكان القادمين من افغانستان، والذين شاركو في الاستعراض الذي أُقِيم في مدينة ووهان في الصين ،و قد نبّه الطبيب الصيني (li Wenliang) وهو استاذ علم الامراض الفايروسية واحاديات الخلية في جامعة ووهان الوطنية (WHU) في 10 تشرين الثاني / نوفبر 2019 الى ظهور هذا الفايروس خارج المختبر لأول مرة، ولم يُؤخَذ بتحذيراته، بل تم اتهامه في حينها بنشر معلومات ودعايات غير صحيحة ومضللة، الى ان سجلت أول إصابة بالفايروس في 27 من الشهر نفسه وقد توفي ذلك الطبيب بسبب الفايروس[26]، كما انتقل الفايروس بصورة مذهلة وسريعة الى ايران، مما رجّح صحة الاتهامات الموجهة الى الولايات المتحدة الامريكية، ثم انتقل الفايروس الى ايطاليا، والتي تشير المعلومات الى وجود اتفاقات وتفاهمات اقتصادية كبيرة كانت قد أُبرِمت ما بين الصين وايطاليا، مما عزز الاتهامات الموجهة الى الولايات المتحدة الامريكية، ولكن

الانتشار السريع للفايروس في القارة الاوربية ومن ثم الى معظم دول العالم، وبضمنها الولايات المتحدة الامريكية ودول امريكا اللاتينية، وما تسبب به الوباء من الضحايا الكبيرة والاصابات التي خلفها ذلك الفايروس جعل الاتهامات متبادلة ما بين الولايات المتحدة الامريكية والصين، حيث اعلنت الولايات المتحدة الامريكية رسمياً وعلى لسان الرئيس الامريكي دونالد ترامب في 16 نيسان / ابريل 2020 بان الصين تقف وراء نشر الفايروس في العالم، كذلك اتهم الصين بعدم اعطاء احصائيات دقيقة حول ضحايا الفايروس وانها تخفي جثث الضحايا المصابين بالفايروس، وفي 9 نيسان / ابريل 2020 اتهم الرئيس الامريكي دونالد ترامب منظمة الصحة العالمية بانها كانت سيئة وغامضة ومتحيّزة في ادارة ازمة جائحة كورونا وهدد بقطع التمويل أو المعونات الامريكية الى المنظمة، كما وصفت في المقابل المخابرات الروسية بأن الصين قد تم استهدافها بالفايروس، وانه يمثل (قنبلة عنصرية) موجهه لشعب يحمل جينات وراثية معينة، والملاحظ من الاتهامات كانت متبادلة فعندما انتشر الفايروس في الصين كان الاتهام بأنه امريكياً، ولكن عند انتشاره في الولايات المتحدة الامريكية اصبح الاتهام معاكس تماما وأن الفايروس صينيا أو على الاقل منشأه ومصدره الصين وليس المختبرات الامريكية، وهذه الاتهامات المتبادلة ترجّح الرأي القائل بان الفايروس مصنع مختبريا وموجّهاً لاستهداف دول معينه كالصين وايران وايطاليا وغيرها، وامام تلك الاتهامات المتبادلة يمكن القول – وعلى اقل التقادير – بان الفايروس حتى وان لم يكن قد صُنّع مختبرياً، فان انتشاره كان مقصودا، وكانت وراءه أهداف سياسية بين القوى العظمى المتنافسة او المتصارعة على المسرح الدولي، وهذا ما يؤكد الصراع فيما بين القوى الفاعلة في النظام الدولي داخل البيئة الطبيعة (البيئة الخارجية)، وليس صراعها مع الطبيعة والتعاون لمواجهة مخاطر انتشار الفايروس عالميا، ويمكن توضيح تلك التساؤلات وفقا للمخطط التالي[27]:

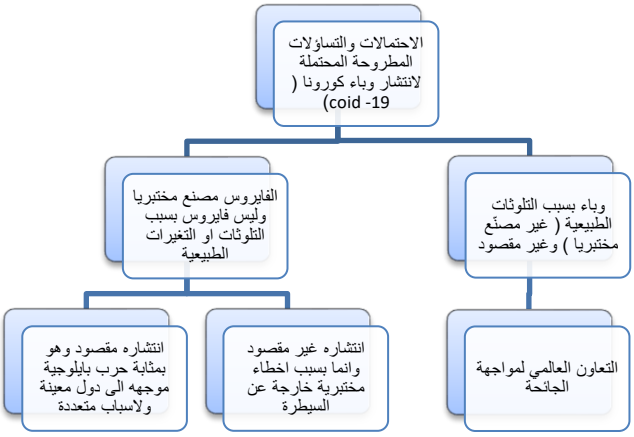

- **المخطط من اعداد الباحث**

ثانياً: الابعاد الصحية لانتشار لفايروس كورونا:

منذ ان أُعلِن عن انتشار الفايروس في مدينة (وهان) الصينية في مقاطعة (خوبي) في27 تشرين الثاني /نوفمبر2019، ولحد نهاية شهر مايو/ ايار 2020، وقد مضى على انتشار الوباء أكثر من 200 يوم تقريبا، ولم يتم التوصل الى لقاح طبي ناجح وناجع لمواجهة هذا الفايروس، ليس في الدول المتخلفة لو ما تسمى دول الجنوب وحسب، بل حتى في الدول المتقدمة في مجال الطب كألمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية، وغيرها من دول العالم، كما ان التصريحات الرسمية لمعظم تلك الدول، قد اكدّت بانه لا يمكن التوصل الى لقاح ناجح لهذا الفايروس، الا في نهاية عام 2020 على أقل التقادير، في حين أشارت معلومات أخرى لمراكز أبحاث الى مدة زمنية أطول من ذلك.

لقد كانت هناك محاولات وتسريبات من بعض الشركات التي لديها مختبرات متطورة ومتخصصة في صناعة المضادات الحيوية للأوبئة والامراض لإنتاج لقاحات مضادة للفايروس، كالمختبرات في روسيا والمانيا وفرنسا وبريطانيا واستراليا والولايات المتحدة الامريكية، فضلاً عن الدول التي تعرضت للموجة الاولى من الوباء وهي ايران والصين،

وكما اعلنت شركة (كورفاك) الالمانية للأدوية، أو ما أعلنه (ديفيد باترسون) في جامعة (كوينزلاند) الاسترالية، أو (ديفيد كيلفن) في جامعة دالهاوسي في كندا، وكذلك ما اعلنته شركة (Takis Evvivax) الايطالية لإنتاج الادوية، ولكن لم تعلن اي من تلك المختبرات قدرتها على التوصل بشكل نهائي ومؤكد على انتاج ذلك اللقاح، مما يؤكد العجز في المجال الطبي لكل تلك الدول المتطورة في مواجهة ذلك الفايروس وتداعياته الصحية، والتي نشرت بعض المراكز البحثية الطبية بان آثاره السلبية سوف تبقى على الجهاز التنفسي للمرضى المتعافين من هذا الفايروس، وانهم سوف يعانون مشكلات وصعوبة في الجهاز التنفسي، مما زاد من المخاوف لدى المجتمعات بصورة أكبر، هذا من جانب، ومن جانب آخر، هناك مخاوف من التدخلات السياسية للقوى الكبرى كالولايات المتحدة الامريكية وغيرها لاحتكار العلاج في حال النجاح بالتوصل اليه، مما شكّل مخاوف وتهديدات في آن واحد لدى الدول والمجتمعات حتى المتحالفة فيما بينها، وكما جرى للشركة الالمانية التي أعلن المدير التنفيذي لها من امكانية التوصل إلى علاج للفايروس، حيث قدّم الرئيس الامريكي دونالد ترامب عرضاً لشراء العلاج أو اللقاح المنتج للمرض حصريا للولايات المتحدة الامريكية، بعد لقائه بمديرها في البيت الابيض في شهر مارس/ اذار من نفس العام، مما دفع الحكومة الالمانية من منع الشركة من التواصل مع العرض الامريكي، وعدّت ذلك العمل يشكل تهديدا لسيادتها وامنها القومي، ومما أكد من الرأي القائل بان الاهداف السياسية والصراعات التي بدأت تظهر بين الدول لاحتكار العلاج، تقف وراء استثمار الازمة دولياً، هي ما تسرب من المعلومات التي اشارت الى انتحار العالم الاماني في ظروف غامضة لم يُكشف عن حقيقتها، وهل فعلا تم ذلك من قبله، ام جرت تصفيته من قبل الاجهزة الاستخبارية العالمية، أم ان الحكومة الالمانية سرّبت تلك المعلومات للمحافظة على سرية عمله وسلامته، أم هناك خفايا وسيناريوهات في الموضوع أبعد من ذلك، والتي من بينها وأخطرها في مجال القيم والأخلاق الانسانية هي

رغبة تلك الدول – ولأهداف سوف يتم التطرق لها – المساعدة في انتشار وتفشي الفايروس وعدم معالجته بصورة أوسع.

ثالثاً: الابعاد الاجتماعية لانتشار لفايروس كورونا:

على الرغم من ان الضحايا التي تسبب بها فايروس كورونا (covid-19)

لم تكن الاكثر مقارنة بالضحايا التي تسببت بها الاوبئة التي انتشرت في الحقب الماضية عالميا، والتي لايزال بعضها يفتك بالمجتمعات كمرض نقص المناعة (السارس)، والايبولا المنتشرة في القارة الافريقية، وغيرها من الاوبئة العالمية، ولكن الملاحظ ان انتشار هذا الفايروس كانت له آثاراً اجتماعية كبيرة ومرعبة، وذلك يعود لأسباب متعددة، ومن أهمها:

1- الترابط الغير معهود في السابق بين شعوب العالم بسبب وسائل التواصل الاجتماعي والاعلام والاتصالات والمواصلات السريعة التي جعلت العالم أصغر بكثير من مفهوم القرية الواحدة.

2- وكذلك السبب الاخر المهم وهو الطريقة او الآلية التي ينتشر بها هذا الوباء وهو عن طريق الملامسة المباشرة أو الاقتراب لمسافة قريبة ما بين المصاب الحامل للفايروس وبين السليم، فضلاً عن الرذاذ الذي يمكن أن يصدر من الشخص المصاب في الهواء.

3- عجز المراكز البحثية من ايجاد لقاح لهذا الفايروس، وتصريحاتهم بان ذلك يستغرق من ستة اشهر إلى سنة أو أكثر من ذلك تقريباً، مما تسبب بحالة من الاحباط والياس في مواجهة الفايروس بصورة سريعة وعاجلة .

4- يُضاف الى ذلك طبيعة الفايروس التي تمكنّه من البقاء عالقا على الاسطح والاجسام الاخرى لمدة طويلة من الزمن، وهذا ما سبب الهلع والخوف ما بين افراد المجتمع الوحد.

5- الاجراءات التي اتخذتها الحكومات في معالجة الفايروس في الصين، والتي اثبتت بانها الطريقة الوحيدة السريعة الناجحة لمواجهة مخاطر تفشي الفايروس، وهي طريق الحجر الصحي الاجباري، كما إن الدول والحكومات التي حاولت عدم التقيّد بذلك، لم يكن لديها اي خيار سوى جعل المجتمعات في مواجهة مباشرة مع هذا العدو الجائح، وهذا ما حصل فعلاً فيما بعد في عدد من الدول التي حاولت عدم التقّيد بتلك الاجراءات.

لقد تسببت تلك الاجراءات الاضطرارية في مواجهة الفايروس بتأثيرات ساسيولوجية وسايكولوجية كبيرة ومؤثرة في المجتمعات، كما انها تركت آثاراً فيما بعد على المنظومات القيمية والاخلاقية التي تحكم سلوك تلك المجتمعات وتنظم علائقها فيما بينها، مما انعكس فيما بعد على القضايا السياسية وطبيعة الحكومات القائمة في تلك المجتمعات، ودورها الوظيفي والاخلاقي والقيمي في تقديم المساعدات، في المجالات الاقتصادية والصحية وغيرها، وقد اشار بعض المتخصصين في العلوم الاجتماعية بان مثل تلك الازمات تترك تحولات كبيرة في علم الاجتماع[28]، وكان من بين تلك الاثار هو ان الاجراءات التي فرضتها الحكومات كالتباعد والحجر الاجباري في المنازل، كانت بمثابة صدمة اجتماعية قاسية للمجتمعات[29]، ولاسيما تلك التي تتمتع بقدر عالي من الحريات، فظهرت مصطلحات غير مألوفة مثل التباعد الاجتماعي، والوباء المعدي، والحجر الصحي الاجباري، والعزل المنزلي وغيرها [30] .

إن من اهم الاثار الاجتماعية لانتشار وباء كورونا هو عودة عدد من المفاهيم الاجتماعية التي طالما حاولت تجاوزها أو الغائها الحضارة المادية الحديثة ومن بينها مركزية الاسرة في المجتمع، والتجمع العائلي بعد إن تم غلق المؤسسات والمراكز الخدمية كالمدارس والجامعات والمطاعم والمرافق السياحية، والتي كانت تستغرق معظم أوقات العاملي، ولذلك كانت هناك آثار إيجابية وهي اضطرار العائلة الواحدة للاجتماع سوية في منزل واحد طيلة أيام الحضر، كما كانت هناك آثار سلبية من ذلك الاجتماع

كازدياد العنف المنزلي، وبالتالي أصبحت شعوب العالم المتطورة أمام وضع إجتماعي جديد، قد غادرته منذ عقود بسبب التطورات في نمط الحياة المادية.

رابعاً: الابعاد الاقتصادية لانتشار لفايروس كورونا:

وتعد الاثار الاقتصادية من بين أشد وأخطر الاثار التي خلفاها انتشار فايروس كورونا، بل ان هناك معلومات تشير الى ان الدوافع الرئيسة وراء الازمة هي اقتصادية لاستهداف الاقتصاد الصيني الصاعد من قبل الولايات المتحدة الامريكية، أو للهيمنة على العلاج والتحكم بأسواق بيعه، كما كانت هناك اثار اقتصادية كبيرة على المستوى الدولي يمكن الإشارة الى أهمها:

1- هبوط اسعار النفط إلى أسعار غير معهودة منذ عقود من الزمن، مع ما رافقها من ركود اقتصادي كبير.

2- توقف الملاحة الجوية والبحرية وكذلك البرية ما بين الدول وداخل الدولة نفسها مما تسبب بخسائر اقتصادية كبرى، فضلاً عن فقدان عشرات الالاف من الموظفين لوظائفهم، ولذلك كان هناك الملايين من المواطنين في أوربا والولايات المتحدة الامريكية ممن قدموا على طلب المساعدات .

3- مخاوف الدول الكبرى مما يترتب على هذه الازمة من كساد اقتصادي كبير، تعجز الحكومات عن مواجهة أو معالجته، وهذه المخاوف التي أشار إليها وزير المالية الالماني (توماس شيفر) بولاية (هيسن) وهو ما ادى به الى الانتحار وكما صرحت مجلة (ديرشبيجيل) حيث وجدت جثته على سكة قطار سريع بمدينة (فيس بادن) عاصمة ولاية(هيسن) جنوب غرب المانيا، وهذه المخاوف تداخلت مع تصريحات كثير من المسؤلين بالتحذير من المخاطر الاقتصادية التي يسببها الحجر الصحي، وهو ما دعى رئيس وزراء بريطانيا الى طرح مفهوم (سياسية حماية القطيع)، أو نظرية التباعد الاجتماعي، أو تصريحات الرئيس الامريكي دونالد ترامب بانه لا يُسلّم اقتصاد البلاد في

الولايات المتحدة الامريكية بيد الاطباء، وهي إشارة إلى عدم الاخذ بمقولة الحجر الصحي الكامل لما يسببه من مخاطر اقتصادية كبيرة .

خامساً: الابعاد الايديولوجية لانتشار لفايروس كورونا:

ان من المخاطر الكبرى التي خلفها وباء كورونا هو طريقة تعاطي الدول مع ذلك الوباء ومدى قدرتها على النجاح في احتوائه والسيطرة علية فقد فشلت الدول الديمقراطية وخصوصاً الدول الاوربية والولايات المتحدة الامريكية القائمة على الفلسفة الليبرالية ببعدها الاقتصادي القائم على التجارة الحرة، وبعدها السياسي القائم على الديمقراطية والحرية الفردية في مواجهه هذا الوباء وأصبحت أنظمتها السياسية غير قادرة على مواجهته، كما ان الانظمة الصحية في تلك الدول لم تكن بمستوى التحدي الذي تستطيع من خلاله مواجهه الفايروس، في حين على العكس من ذلك بدأت الانظمة السياسية الشمولية المركزية اكثر قدرة على ضبط انتشار الفايروس والسيطرة على حركة الافراد وغلق المرافق الخدمية والمؤسسات، كما ان المستشفيات والمراكز الصحية في تلك الدول اثبتت نجاحها و قدرتها على مواجهه الفايروس وتقديم الخدمات الصحية لمواطنيها كما حصل في الصين وايران التي كانتا من اولى الدول التي تعرضت لذلك الفايروس، ولذلك طُرِحت تساؤلات عديدة من أهمها: كيف تعجز اكبر دولة صناعية كالولايات المتحدة الامريكية من توفير المستلزمات الصحية للمرضى وللعاملين في الحقل الطبي كالكمامات وأجهزة التنفس وكيف انها أصبحت تطلب المساعدة من الدول الاخرى كالصين[31]؟! وهذا بحد ذاته يشكل تهديدا لتلك النظم السياسية الليبرالية في مواجهه مثل هكذا ازمات واهتزاز ثقة مجتمعاتها بها، وما دام الوباء مستمراً، ومادامت مخاطرهُ قائمة وعلى كافة المستويات الاقتصادية والصحية وغيرها، فان نظرية الدولة الحارسة سوف تتراجع كثيرا أمام نظرية الدولة المتدخلة والضامنة والمنظمة والآمرة والمانعة، وهذا ما يعود بنظرية مركزية الدولة ودورها، وهو يتنافى مع الطروحات الليبرالية المعاصرة، ويتوافق تماماً مع الفكر اليساري والنظم الشمولية.

الخاتمة والاستنتاجات:

في ختام البحث يمكن القول إن انتشار وباء كورونا قد أثر كثيراً على واقع النظام الدولي من النواحي السياسية والاقتصادية والايديولوجية، وكذلك كان له تاثيراً كبيراً في النواحي السايكولوجية والسيسولوجية للمجتمعات التي تعرضت لذلك الوباء، وان التطور في المجال العلمي والتقني للدول لم يقف حائلا دون المخاطر الكبيرة التي ترتبت على انتشار ذلك الوباء، بل الانكى من ذلك، ان الاثار الاكثر خطراً على المجتمعات كانت في الدول المتقدمة والمهيمنة في النظام الدولي، وبالخصوص الولايات المتحدة الامريكية التي فاق عدد الضحايا والمصابين فيها اية دولة اخرى من دول العالم، وقد وصل عدد المصابين في العالم لحد نهاية شهر تموز/ يونيو2020 إلى أكثر من (16) مليون مصاب، اي بنسبة، 0,002% من العدد الكلي للسكان، وعدد الضحايا الى اكثر من (650) الف متوفى، وهي نسبة عالية جداً.

كذلك من المتوقع جداً ان يتسبب ذلك الوباء باثارا اقتصادية وسياسية قد تكون هي المسبب لبزوغ نظام دولي، أو نظام عالمي جديد يختلف في طبيعته وعلاقاته عما كان سائدا خلال القرون الخمسة الماضية، والتي مثل الغرب فيها مركز العالم ومحوره السياسي والثقافي والاقتصادي والايديولوجي، ومن المرجّح ان تتغير مركزية العالم باتجاه الشرق سواء بجانبه الاقتصادي المتمثل بتسارع الاقتصاد الصيني في النمو والتطور، ام بجانبه العسكري المتمثل بالتطورات الكبيرة في روسيا في مجال التسلّح، فضلاً عن اسباب اخرى ديمغرافية تساعد في ذلك التحوّل.

قائمة المصادر :

11 ثامر كامل الخزرجي، العلاقات السياسية الدولية واستراتيجية ادارة الازمات، (عمان: دار مجدلاوي للنشر، 2005)، ص357 .

2 المصدر نفسه.

[3] للتفصيل ينظر: عبد القادر محمد فهمي، المدخل الى دراسة الاستيراتيجية، د.م.ط ، د.ت .

[4] ينظر:/ صاموئيل هنتنغتون، صراع الحضارات واعادة بناء النظام العالمي، ترجمة: عباس هلال كاظم، الاردن: دار الامل للنشر ،2006.

[5] المصدر نفسه، ص 15.

[6] كاظم هاشم نعمة، الخليج العربي ومعضلة الامن والمثلث الاستراتيجي الامريكي الاسرائيلي الايراني، عمان: دار امنة للنشر والتوزيع، 2020، ص 30.

[7] وهناك معنيان للنظام وهما المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، فالمعنى اللغوي للنظام يقصد به الكلمة المشتقة من كلمة (نَظَمَ) بمعنى رتَّب، وقد ورد في وصف ترتيب ورصف نظم اللؤلؤ، ومنها جاء الوصف للنص الادبي لما يقوله الشاعر من ترتيب للكلمات بوزن وقافية منظمة ومتناسقة بأنه قد نظم الشعر، اما في الاصطلاح فان النظام الدولي قد تشكّل بصورة تدريجية بعد مؤتمر ويتسفاليا 1648، حيث قيام الدولة (القومية) التي شكّلت الوحدات الاساسية لهذا النظام، ولم يكن ذلك النظام في بدايات تشكّله نظاما دوليا (عالميا) وانما كان محدداً بجغرافية هي الجغرافية الاوربية، ولذلك من الاصح ان نطلق على ذلك النظام في بداياته الاولى بانه النظام نظاماً أوربياً ثم تحول فيما بعد الى ان اصبح نظاماً دولياً، وذلك بعد ان توسعه من بيئته المحددة الاوربية التي تشكلت فيها الوحدات ليشمل بعد ذلك معظم قارات العالم، وتكون بذلك السِمَة الأساسية لهذا النظام هي السمة الدولية او العالمية، وقد كانت نقطة التحول الاولى في النظام عندما شمل دول من خارج العالم المسيحي الاوربي، والمتمثل بالدولة الممثلة للعالم الاسلامي في حينها، وهي الدولة العثمانية وذلك في مؤتمر باريس عام 1856 وهي اول دولة تدخل في التحالفات والتوازنات الاوربية من خارج العالم المسيحي الاوربي، وبعد ذلك توسع ليشمل معظم قارات العالم .

[8] مارتن غريفيش وتيري أو كالان، المفاهيم الاساسية في العلاقات الدولية، ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، دبي: 2008، ص 173.

[9]Richard W.Mansbach and Kirsten L.Raffery, introduction to Global politics, Tayler and Francies Group, U.K.,2008, p.p. 138.

[10] لين سكوت ، التاريخ الدولي 1945– 1990 (History international1945- 1990)، في كتاب: عولمة السياسة الدولية، تحرير: جون بيليس وسيفن سميث، دبي: مركز الخليج للابحاث ، 2014، ص144–187.

[11] جوزيف س. ناي، مفارقة القوة الامريكية ، ترجمة : محمد توفيق البجيرمي، الرياض: مكتبة العبيكان، 2003، ص 67.

[12]Joseph S.Nye.Jr,peering into the future, foreign affairs,U.S.A.,1994,VOL.73, NO 4,P 68.

[13] المخطط من اعداد الباحث.

[14]هناك اكثر من 13 حرب خاضتها الولايات المتحدة الامريكية خارج اراضيها في القرن العشرين عدا الحربين العالميتين الاولى والثانية، وراح ضحيتها مئات الالاف، ينظر: زبيغنيو بريجينسكي، مصدر سبق ذكره، ص 82.

[15]جورج دبليو بوش، قرارات مصيرية، ترجمة: سناء حرب، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2012، ص 156.

[16] للتفصيل أكثر ينظر: غالب الناصر، الفضاء المترابط والمشترك الدلالي: قراءة في جائحة كورونا وما بعدها، النجف الاشرف: د.م.ط، 2020، ص 54.

[17] أسماء حسين ملكاوي، مصدر سبق ذكره، ص 20 .

[18] لاهي عبد الحسين، سجن الحماية: جائحة كورونا مقاربة اجتماعية، المصدر نفسه، ص 53.

[19] المصدر نفسه، ص 56.

[20] See: History of pandemic, wwww.aawsat.com/home/article/2186531 .

[21] للتفصيل اكثر حول الاوبئة والامراض وآثارها المدمرة :-

1- ما أشارت اليه الدراسات الاثرية والنثروبولوجية في شمال شرق الصين في (هامس مانغا)، وكذلك موقع (hiaozigon)، بان الصين تعرضّت لوباء قبل حوالي 5000سنة، حيث قضت على السكان بالكامل، ووجدت آثار لرفات الجثث داخل المنازل، ولم ينجو منها أحد، حيث أصاب الوباء جميع الفئات العمرية دون استثناء.

2- وباء الطاعون الذي تعرضت له أثينا بتاريخ 430 ق.م حيث كانت هناك حروب بينها وبين اسبرطة، وقُدّر عدد الضحايا من الطاعون بحوالي(100,000)، وهو ما أشار اليه المؤرخ اليوناني ثوسيديس (460- 400 ق.م)، مشيرا الى ان ذلك الوباء فتك بالمقاتلين الاصحّاء فجأة مع ارتفاع بدرجة حرارة الرأس، ومن ثم الموت.

3- وباء قبرص عام مابين عامي 250- 271 م ، حيث تشير المعلومات التاريخية الى ان الوباء فتك ب (5000) شخص في يوم واحد في مدينة روما .

4- وباء الطاعون الذي انتشر ما بين عامي 541- 542م ، وقد أُشتِهَر بتسميته (بطاعون جيستينان) نسبة الى الامبراطور البيزنطي جيستينان، وتشير المعلومات الى ان ذلك الوباء كان هو السبب الرئيس وراء انهيار الامبراطورية البيزنطية ، حيث انه فتك بما يقارب ربع سكان العالم في حينها .

5- الوباء المُسمى ب (الموت الاسود) او ما سُمي بالطاعون الدملي، وقد انتشر مابين عامي (1346- 1353م)، وكان يُعتقد بان مصدر الوباء هو من الشرق، ومن الصين بالتحديد، وقد انتقل الى اوربا ، وقضى على نصف سكان القارة الاوربية، وقضى على ما يقارب من 200 مليون شخص، كما تشير بعض البحوث والدراسات بان لهذا الوباء كان التأثير الاكبر في النهضة الاوربية ، حيث ترك آثارا نفسية واجتماعية وفكرية، وتسبب بتحولات كبيرة.

6- الطاعون الامريكي الذي أصاب سكان القارتين الامريكيتين، ويعتقد بان مصدر الوباء هو المستكشفون الاوربيون في القرن السادس عشر، والذ تسبب بإبادات كبيرة للسكان الاصليين من الهنود الحمر في القارتين الامريكيتين الشمالية والجنوبية.

7- وباء الجدري الي قتل ما يقارب 56 مليون شخص عام 1520.

8- وباء الكوليرا ما بين عام 1817- 1923 وراح ضحيته أكثر من مليون شخص.

9- وباء الطاعون الذي ظهر عام 1855في الصين في مدينة بونان، وسُمي ب (الوباء الثالث third pandemic) وانتقل الى العالم وقتل اكثر من 12 مليون شخص.

10- وباء الانفلونزا في روسيا وظهر عام 1890وقتل حوالي مليون شخص، وقد عاود ذلك الوباء الظهور في اسيا عام 1956.

11- الانفلونزا الاسبانية التي ظهرت عام 1918، وقد فتكت بحوالي 50 مليون شخص في عام واحد، وتعد هي الاخطر من بين الاوبئة التي عرفها العالم في التاريخ المعاصر، كونها اصابت ربع سكان العالم، كما ان مصدر الوباء لم يكن اسبانيا، وانما من الولايات المتحدة الامريكية في فترة الحرب العالمية الاولى.

12- مريض نقص المناعة الايدز، والذي تم اكتشافه عام 1981، وقتل حوالي 35 مليون شخص منذ ظهوره، ولاتزال الابحاث الطبعية غير قادرة على معالجته.

13- انفلونزا الخنازير الذي ظهر في الولايات المتحدة الامريكية والمكسيك ما بين عامي 2009- 2010، وقتل حوالي 200 الف شخص.

14- مرض الايبولا المنتشر في افريقيا ما بين عامي 2014– 2016، وقد راح ضحيته ما يقارب 11 الف شخص، ولازال هذا الوباء منتشرا في بعض الدول الافريقية، بسبب الظروف الصحية والاقتصادية والسياسية المتردية .

15- وأخيرا، وليس الاخر في الاوبئة والامراض فايروس كورونا (covid19) والي ظهر لاول مرة في مقاطعة ووهان الصينية في نوفمبر/ تشرين الثاني 2019، حيث تم تسجيل اول اصابة رسمية بهذا الفايروس في 2019/11/27، والذي انتشر سريعا في العالم، لتعلن منظمة الصحة العالمية فيما بعد، بانه اصبح وباء عالمياً، ويجب على الحكومات والشعوب مجتمعة التعاون من أجل مكافحة أخطار ذلك الوباء وايجاد العلاج اللازم لمكافحته، أو الحد من آثاره ومخاطره. ينظر : WWW.aawsat.com/article/ .

[22] Alalam.net/news/38169111.com

[23] Ibid. P.p

[24] مايكل أي براون وآخرون، صعود الصين، ترجمة: مصطفى قاسم، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010، ص 443 وما بعدها.

[25] Sky newsarabic.com/world/

[26] التيجاني عبد القادر احمد، مرحلة ما بعد كورونا، في كتاب (أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية والعبلاقات الدولية)، مجموعة باحثين، قطر: مركز ابن خلدون للعلوم الانسانية والاجتماعية، 2020، ص 62.

[27] المخطط من اعداد الباحث .

[28] أسماء حسين ملكاوي، كورونا وعلم الاجتماع: اسئلة جديدة، المصدر نفسه، ص 9.

[29] المصدر نفسه، ص 11.

[30] المصدر نفسه، ص 13.

[31] التيجاني عبد القادر احمد، مصدر سبق ذكره، ص 66.